

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { أليس الله بكاف عبده } وقرأ بعضهم { عباده } يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه وقال ابن حاتم ههنا : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو هانئ عن أبي علي عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد الأنصاري هـ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [أفلح من هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به] ورواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني به وقال الترمذي صحيح { ويخوفونك بالذين من دونه } يعني المشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال D : { ومن يضل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟ } أي منيع الجبابرة لا يضام من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه فإنه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى : { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله } يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك تعالى : { قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ } أي لا تستطيع شيئا من الأمر وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس هـ مرفوعا [احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك جفت الصحف ورفعت الأقلام واعمل بالشكر في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا] { قل حسبني الله } أي الله كافٍ { عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون } كما قال هود E حين قال قومه { إن نقول إلا اعتراك بعض آلها تنابؤا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم } وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا محمد بن حاتم عن أبي المقدم مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي حدثنا ابن عباس هـ رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله D أوثق منه

بما في يديه ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليترك [D] وقوله تعالى : { قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم } أي على طريقته وهذا تهديد ووعد { إنني عامل } أي على طريقي
ومنهجي { فسوف تعلمون } أي ستعلمون غب ذلك ووباله { من يأتيه عذاب يخزيه } أي في
الدنيا { ويحل عليه عذاب مقيم } أي دائم مستمر لا محيد عنه وذلك يوم القيامة أعادنا
إلى منها